السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٣)

رِحْلَةُ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

فَرَحٌ... وَلَـٰكِنَّهُ مُؤَقَّتٌ!!

وَوَصَلَ خَبَرُ طَرْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ إلىٰ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَفَرِحُوا فَرَحاً لا مَثِيْلَ لَهُ ، وَأَحسُّوا بِأَنَّ ذَلِكَ يُعْتَبَرُ نَصْرَاً مُؤَزَّراً لَهُمْ ، بَلْ ذَهَبَ بَعْضُ زُعَمائِهِمْ إلى تَوْزِيْعِ الخُمُوْرِ عَلىٰ النَّاسِ مَجَّاناً!

وَظَنُّوا : أَنَّ الرَّسُول صَلواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ لَنْ يُقْدِمَ مَرَّةً أُخْرَىٰ عَلَىٰ دَعْوَة النَّاسِ أَبَدَاً .

لَـٰكِنْ حَدَثَ عَكْسُ ذَلِكَ ، فَقَدْ وَصَل رَسُولُ اللهِ إلى مَكَّةَ ، واتَّجَهَ إلى البَيْتِ الحَرَامِ ، فَطَافَ بِالْكَعْبَةِ وَصلَّىٰ ، ثُمَّ رَاحَ يَدْعو حُجَّاجَ بَيْتِ الله الحَرَامِ ، وَيَعْرِض عَلَيْهِمْ أُمُورَ الدَّعْوَةِ .

وَلمَّا رَأىٰ مُشْرِكُو مَكَّةَ ذَلِكَ ، كَادُوا يُصابُونَ بِالجُنُونِ...!

فاجْتَمعوا في دَارِ أَبي جَهْلٍ ، وَاتَّفَقُوا عَلىٰ تَكْثِيْفِ مُعَارَضَةِ دَعْوَتِهِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ .

وَفي صَبْيحَةِ اليَوْمِ الثَّاني ، تَوَزَّع كِبَارُ مُشْرِكي مَكَّةَ بَيْنَ حُجَّاجِ بَيْتِ الله الحَرَامِ ، فَذَاكَ الوَلِيْدُ بْنُ المُغِيْرَةِ يَقُوْلُ لِلْوُفُودِ : حَذَارِ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ!

ابْقُوا على أَصْنَامِكُمْ وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ، وحَذَارِ مِنَ السَّاحِرِ مُحَمَّدٍ ، فَلا تَصْغَوا إِلَيْهِ ، فإِنَّهُ يَسْحَرُكُمْ ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَكُمْ...!!

وَذَلِكُمْ عمُّ الرَّسُول أَبُو لَهَبٍ كَانَ يَقِفُ علىٰ جَبَلِ الصَّفَا تَارَةً... وَيَقِفُ عَلَى جَبَلِ المَرْوَةِ

أُخْرى وَيُنَادِي بِالحُجَّاجِ قَائِلاً : يَا قَوْمُ ، هَذَا هُوَ السَّاحِرُ الكَبِيْرُ ، إِنَّه يَدْعُوكُم إِلىٰ أَنْ تَسْلَخُوا اللاَّتَ والعُزَّى مِنْ أَعْنَاقِكُمْ ، وَتَتَّبِعُوا مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الضَّلالاتِ ، فَلا تُطيعُوْهُ ، وَلا تَسْمَعُوا لَهُ ، فَهُو ابنُ أخِيْ ، وَأَنَا أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ!!

* * *

والرَّسُولُ يَعْرِض نَفْسه عَلَىٰ القَبَائِلِ

وَهَكَذا كَانَ حَالُ أَبي جَهْلٍ ، وَعُتْبَةَ ، وَشَيْبةَ وَالعَاص ، وَغَيْرِهُم ، بَيْنَما كَانَ المُصْطَفىٰ ﷺ يَسِيْرُ في مَوْكِب الدَّعْوَة ، وَلا يَتَوَقَّفُ عِنْدَ قَوْلِ القَائِلِيْنَ ، وإِشَاعَةِ الحَاقِدِيْنَ .

وَكَانَ يَعْرِضُ نَفْسَهُ عَلَىٰ القَبَائِلِ ، والوُفُوْدِ ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئاً وَاحِداً يَدُوْرُ حَوْلَ التَّوْحِيْدِ : « أَدْعُوكُم إِلىٰ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَـٰهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيْعاً » .

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام يَتَّبِع أُسْلُوبَ اللِّينِ ، والحِوَارِ : « لاَ أُكْرِهُ أَحَداً عَلَىٰ شَيْءٍ ، مَنْ

رَضِيَ مِنْكُمْ بِالَّذِي أَدْعُو إِلَيْهِ ؛ فَذَلِكَ ، وَمَنْ كَرِهَ لَمْ أُكْرِهْهُ » .

أَمَّا الناسُ فَكَانَ بَعْضُهُم يُصَدِّقُ ، وَيُؤْمِنُ ، وَبَعْضُهُم يُكَابِرُ ، ويُكَذِّبُ.

* * *

خَيْرُ مُكَافَأةٍ

وَعِنْدَمَا اشْتَدَّتِ الأَزَمَةُ عَلَىٰ المُصْطَفى ﷺ كثيراً ؛ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ أَنْ يَخُصَّهُ بِرِحْلَةٍ لا مَثِيْلَ لَهَا .

حَيْثُ أَكْرَمَهُ بِرِحْلَةٍ أَرْضِيَّةٍ ، بِدَايَاتُها مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ ، وَنِهَايَاتُهَا بيت المَقْدِسِ ، ثُمَّ أَعْقَبها بِرِحْلَةٍ أَرْضِيَّةٍ سَمَاوِيَّةٍ ، وَذَلِكَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ إِلىٰ السَّمَوَاتِ العُلَىٰ .

وَكَأَنَّ الله تَعَالَى يَقُوْلُ لِحَبِيْبِهِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ : لَئِنْ كَانَ أَهْلُ الأَرْضِ قَدْ تَخَلَّوا عَنْكَ يَا مُحَمَّدُ! فَإِنَّ لَكَ مَقَاماً عِنْدَنَا لا يبْلُغُهُ أَحَدٌ

مِنَ العَالَمِيْنَ ، وَأَهْلُ السَّمَاءِ أَشَدُّ شَوقاً إِلى لِقَائِكَ .

وَالرِّحْلَةُ الأَرْضِيَّةُ ـ رِحْلَةُ الإِسْرَاء ـ ثابِتَةٌ في القُرْآن الكَرِيْم ، وفي الأَحَادِيثِ الصَّحِيْحَةِ ، قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1] .

وَأَمَّا رِحْلَةُ المِعْرَاج ، فَفِي القُرْآنِ الْكَرِيْمِ إِشَارَةٌ إِلَيْها ، قَالَ تَعَالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا

---

(١) سورة الإسراء : ١ .

رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ (١) .

والهَدَفُ الأَسْمَىٰ لِتِلْكُمُ الرِّحْلَةِ الخَالِدَةِ هِيَ أَنْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُ الرَّسُول ﷺ أَكْثَر ، وَأَنْ يَزْدَادَ يَقِيْناً بصوابِ دَعْوَتِهِ ، وَأَنْ يَرَىٰ مِنْ آيَاتِ الله وَمَلَكُوْتِهِ مَا لا يَرَاهُ بَشَرٌ.

* * *

---

(١) سورة النجم : ١ ـ ١٨ .

إِمَامُ الأَئِمَّةِ ﷺ

وَيَصْطَحِبُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلامُ الرَّسُوْلَ ﷺ بِسُرْعَةٍ فَائِقَةٍ ، حَيْثُ يَصِلانِ إلى بَيْتِ المَقْدِسِ .

وَيَشاءُ الله تَعَالىٰ أَنْ يَجْمَعَ جميع الأنبياءِ والمُرْسَلِيْنَ في المَسْجِدِ الأَقْصىٰ ، وَيَقِفَ الْجَمِيْعُ صفوفاً وَرَاءَ خَاتَمِ الأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

وَفي ذَلِكُمْ أَيُّها الأحِبَّةُ البَرَاعِمُ دُرُوسٌ وَعِبَرٌ ؛ مِنْهَا :

الارْتِبَاطُ الوَثِيْقُ بَيْنَ البَيْتِ الحَرَامِ في مَكَّةَ ، وَبَيْنَ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ في فِلسطِيْنَ .

وَمِنْها وَحْدَةُ الأَدْيَانِ ، وَالرِّسَالاتِ ، وَمِنْهَا

المَكَانَةُ المَرْمُوْقَةَ لخَاتَم الأَنْبيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ عَلَيْهِمْ جَمِيْعاً أَفْضَلُ الصَّلاة والتَّسْلِيْمِ .

* * *

إِلَى السَّمَواتِ السَّبْعِ يَا مُحَمَّدُ!

ثُـمَّ عُـرِجَ بِـالـرَّسُـول إلـى السَّمَـاءِ ، حَيْـثُ اسْتَقْبَلَـهُ كِبَـارُ المَـلائِكَـةِ ، وَالْتَقَـىٰ بِكَثِيْـرٍ مِـنَ الأَنْبِيَاءِ ، مِنْهُم أَبُو البَشَرِ آدَمُ عَلَيْه السَّلامُ ، ومِنْهُم خَلِيْلُ الرَّحْمَنِ إِبْراهِيْمُ عَلَيْهِ السَّلامُ ، وَمِنْهُم كَلِيْمُ الله مُوْسَى عَلَيْهِ السَّلامُ.

وَأَطْلَعَهُ الله تَعَالىٰ عَلَىٰ الجَنَّةِ وَمَا فِيْها مِنْ نَعِيْمٍ مُقِيْمٍ ، وَأَرَاهُ نَمَاذِجَ مِمَّا يَحْدُثُ لِلْمُكَذِّبِيْنَ ، وَالمُعَانِدِيْنَ في النار.

مِنْها قَوْلُه ﷺ : « لَمَّا عَرَجَ بِي رَبِّي ـ عزَّ وَجَلَّ ـ مَرَرْتُ بِأَقْوَامٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ

وُجُـوَهَهُـمْ وَصُـدُورَهُـمْ ، فَقُلْـتُ : مَـنْ هَـؤُلاءِ يَا جِبْرِيْلُ ؟!

قَالَ : هَؤُلاءِ الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ، وَيَقَعونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ » .

* * *

إِنَّهَا فِتْنَةٌ لِلنَّاسِ!!

وَلَمَّا انْتَهَتِ الرِّحْلَةُ الخَالِدَةُ المُبَارَكَةُ ، وَعَادَ رَسُولُ الله ﷺ إلى مَكَّةَ المُكَرَّمَةَ ، وَرَاحَ يُحدّثُ النَّاسَ عَمَّا رَأىٰ ، وَشَاهَدَ ؛ ارْتَدَّ فِئَةٌ مِنْ ضِعَافِ الإيمان عَنِ الدِّيْنِ!

بَيْنَمَا رَاحَ عُتَاةُ المُشْرِكِيْنَ يَقُولُونَ فِي الأسْوَاقِ : تَعَالَوْا ، فَانْظُروا مَاذَا يَقُوْل مُحَمَّدٌ ؟

أَمَّا الصِّدِّيْقُ أَبُوْ بَكْرٍ فَقَدْ قَالَ لأبِي جَهْلٍ عَنْدَمَا أَخْبَرهُ بِذَلِكَ : لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ ؛ لَقَدْ صَدَقَ ، وَإِنَّا لَنُصَدِّقُهُ بخبر السَّمَاءِ ، أَفَلا نُصَدِّقُهُ بِمِثْلِ هَذَا ؟!

وَلِذَلِكَ اعْتُبِرَتْ تِلْكَ الرِّحْلَةُ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ،

ومَحَكًّـاً ، وَتَمْحِيْصـاً لِمَـدَىٰ صِـدْقِ إِيْمَـانِ الإِنْسَانِ... ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَىٰ في مَعْرِضِ مُخَاطَبَتِهِ للمُصْطفىٰ ﷺ : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾[1] .

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنِ

* * *

(١) سورة الإسراء : ٦٠ .